التربية والتعليم عند القدماء

(٤)

كتب التربية والتعليم عند العرب

لم يهمل العرب التأليف في هذا الفنّ المفيد بل وضعوا فيهِ مؤلفات جديرة بالمطالعة لما فيها من الاختبار والتجارب فعرفوا آدابها ودوّنوها في كتب دلّت على مبلغ علمهم من الصناعة المهمة التي يعبر عنها الفرنج اليوم باسم (البيداغوجيه) اي هداية الاطفال واليك الآن ما وصلت اليهِ يد البحث من تلك المؤلفات التي أُفردت لهذا الفن الرائع :

(١) كتب القدماء

١ (كتاب العلم) — لابي خيثمة زهير بن حرب بن شدّاد الحربي البغدادي المتوفى سنة ٢٣٤ هـ (٨٤٨ م)

٢ (رياضة المتعلم) — لابي عبد الله بن الزبير المعروف بالزبيري البصري الاعمى المتوفى قبل سنة ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م)

٣ (العلم والتعليم) — للامام ابي زيد احمد بن سهل البلخي المتوفى سنة ٣٢٢ هـ (٩٣٣ م)

٤ (العالم والمتعلم) — للامام ابي حاتم محمد بن حبّان التميمي البستي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م)

٥ (آداب العلم) — للشيخ الامام الحافظ ابي عمرو يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ النميري القرطبيّ المتوفى سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧٠ م)

٦ (الصفات والادوات التي يبتدىء بها الاحداث) — لعبد الله بن علي الهروي المؤدب المتوفى سنة ٤٨٩ هـ (١٠٩٥ م)

٧ (إحياء علوم الدين) — لحجة الاسلام الطوسي الشهير بالامام الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ (١١١١ م) رتبهُ على اربعة اقسام وقد اختصرهُ جماعة من الادباء وطبع المطوّل والمختصر مراراً على الحجر وبالحروف في القاهرة وغيرها . ولهُ في اثناء بحثهِ آراء مفيدة في التعلم والتعليم تدلُّ على تضلعهِ من آداب هذه

الصناعة الشريفة . كيف لا وهو اكبر استاذ في عصره درّس في النظامية البغدادية وغيرها من كبار المدارس. ولقد نقلت مجلة المقتطف اهم تلك الآداب في المجلد ٣٤ صفحة ٤٧٨

٨ (ادب التعلم) — للغزالي في الظاهرية بدمشق في ٤٨ صفحة ولعلهُ هذا

٩ (طراز الذهب في ادب الطلب) — لابي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م)

١٠ (تعليم المتعلم طريق التعلم) — لبرهان الدين الزرنوجي من اهل القرن السادس للهجرة والثاني عشر للميلاد وقد طبع هذا الكتاب في الهند واوربة ومصر والقسطنطينية مع شرح عليهِ لابن اسمعيل من اهل القرن العاشر للهجرة والسابع عشر للميلاد . وفي مكتبتي نسخ مخطوطة متعددة من المتن والشرح مضبوطة منقنة وعليها حواشٍ . وترجمهُ بالتركية الشيخ عبد المجيد بن نصوح بن اسرائيل باسم (ارشاد الطالبين في تعليم المتعلمين)

١١ (الدراري في الدراري) — للشيخ كمال الدين عمر بن هبة الله المشهور بابن العديم الحلبي المتوفى سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م) صنفهُ للملك الظاهر غازي بن يوسف بن ايوب حين رزق ولدهُ الملك العزيز وفيهِ شيء من آداب المتعلمين وتربية البنين طبع في القسطنطينية مع رسالتين احداهما في النقود للمقريزي والاخرى في الحكم لياقوت المستعصمي

١٢ (تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم) — لابي عبد الله محمد ابن الشيخ برهان الدين ابي اسحق ابرهيم بن سعد بن جماعة بن علي بن جماعة الكناني الشافعي . فرغ من جمعها سنة ٦٧٢ هـ (١٢٧٣ م) في ٩٦ صفحة علقت بخط جميل سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) رأيتها في مجموعة بدمشق فيها مقامات السيوطي ورسائل وهذه ابواب التذكرة :

(١) في فضل العلم واهلهِ وشرف العلم ونبلهِ
(٢) في آداب العالم في نفسهِ ومع طلبتهِ ودرسهِ
(٣) في آداب المتعلم في نفسهِ ومع شيخهِ ورفقتهِ ودرسهِ
(٤) في مصاحبتهِ الكتب وما يتعلق بها من الادب

(٥) في سكنى المدارس وما يتعلق بها من النفائس وفيها مباحث جديرة بالنشر قد اقتبس منها من الف بعده كما سيأتي في وصفها فكان الكتاب اساس كتب التدريس التي وضعت بعده

ورأيت رحلة الشيخ عبد الغني النابلسي الكبرى في المسودة بخطه في دمشق وعليها تعاليق دونها تذكرة له في بعض كتب (منها هذا الكتاب). وفي مكتبة المرحوم مراد بك البارودي في بيروت نسخة منه كتبت سنة ١٠٢٠ هـ (١٦١١م) في نحو مائة صفحة

١٣ (آداب الدارس والمدرس) — وهي رسالة في مقدمة شرح (المهذب[1]) للشيخ محيي الدين ابي زكريا يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ (١٢٧٧ م) نشر ملخصها الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي من المعاصرين في مجلة المقتبس الدمشقية (٧ : ٢٨٣)

١٤ (آداب حملة العلم) — للحافظ الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) وهو من مخطوطات المكتبة التيمورية في القاهرة

١٥ (احياء النفوس في صنعة القاء الدروس) — للشيخ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ (١٣٥٥ م) وهو مختصر في فن التدريس

١٦ (شفاء المتألم في آداب المتعلم) — للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن المقدسي المتوفى سنة ٨٥٦ هـ (١٤٥٢ م) رتبه على مقدمة وثلاثة ابواب وخاتمة. فالمقدمة في الجمع بين شرف العلم وفضله. والباب الاول في آداب المتعلم. والثاني في آداب المعلم. والثالث في معرفة اقسام العلوم. واما الخاتمة فهي في ما جمع الله في خلقه جملة من آدابها وشروطها

وهذا الكتاب من اتم ما عرف من نوعه من الكتب ومن اكثرها تفصيلاً وأغزرها نفعاً

---

(١) ان كتاب (المهذب) هو في فروع الفقه الشافعي تأليف الشيخ الامام ابي اسحق ابرهيم بن محمد الشيرازي الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٤٧٦ هـ (١٠٨٣ م) اختصره كثيرون وشرحه آخرون شروحاً بديعة منها شرح النووي هذا الذي كمله غيره بعد وفاته

١٧ (اللؤلؤ النظيم في رتوم التعلم والتعليم) — للقاضي زين الدين ابي يحيى زكرياء الانصاري المتوفى سنة ٩٢٦ (١٥١٩ م) ذكر فيهِ اصناف العلوم وحدودها وآدابها وما يتعلق باقتباسها ونسخةُ المخطوطة في برلين وعليها شروح . ومنها نسخة في المكتبة السلطانية في القاهرة كتبت سنة ١١٠٥ هـ (١٦٩٣ م)

١٨ (فضيلة العلم والتعلم والتعليم) — وهي مقدمة لكتاب (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) تأليف طاش كبري زاده المتوفى سنة ٩٦٢ هـ (١٥٥٤ م) في نحو خمسين صفحة بقطع نصف من النسخة المطبوعة قبل الحرب العامة في الهند. وهي في شرائط المتعلم ووظائفهِ ووظائف المعلم وآداب الدرس ونحو ذلك من الاغراض البديعة والاساليب المفيدة . وفي الجزء الثالث الذي لم يطبع من هذا الكتاب اي (مفتاح السعادة) (١) فوائد كثيرة في آداب الفنّ

١٩ (منية المريد في آداب المفيد والمستفيد) — للشيخ زين الدين بن علي بن احمد العاملي الجبعي المعروف بالشهيد الثاني المقتول سنة ٩٦٦ هـ (١٥٥٨ م) وهو من انفس هذه المؤلفات وادقها واوسعها رتبةُ مؤلفهُ — وهو من كبار علماء الشيعة ومدرّسيها — على (مقدمة) في تعريف العلم وفضلهِ تليها اربعة ابواب (اولها) في آداب المعلم والمتعلم من آداب مشتركة بينهما وآداب في انفسهما . وآداب في مجلس الدرس . و (ثانيها) في ادب المعلم في نفسهِ ومع طلبتهِ وفي درسهِ . و (ثالثها) في ادب المتعلم في نفسهِ ومع شيخهِ وفي درسهِ . و (رابعها) في آداب الفتوى والمفتي والمناظرة ثم في ادب الكتابة والكتب

و (الخاتمة) في اقسام العلوم وفروعها وترتيبها بالنسبة الى المتعلم وكلهُ بديع التقسيم كثير الامثلة لطيف الاسلوب يقع في ١٩٦ صفحة بقطع ربع متوسط طبع

(١) من كتاب (مفتاح السعادة) نسختان مخطوطتان في المكتبة التيمورية بالقاهرة احداهما متقنة الخط والترتيب . تكرم بها عليّ صاحبها الكريم لاعارض بها النسخة المطبوعة في الهند فاستنتجت من المعارضة ان نسخة الهند ناقصة الجزء الثالث من المخطوط من ٣٣٦ حتى نهاية الكتاب وهي صفحة ٥٤٧ وهذا الجزء الثالث يتضمن فوائد في الآداب والعادات والاخلاق بما هو (ثمرة العمل بالعلم) . فجدا لو تصدى بعض الادباء لطبع هذا الجزء عن النسخة التيمورية وتصحيح خطإ المطبوعة بالمقابلة على هذه النسخة المضبوطة

في بمباي (الهند) سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٣ م) على الحجر. وقد اغفل ذكرهُ صاحب كشف الظنون. ونسخهُ نادرة

٢٠ (تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج اليها مؤدبو الاطفال) — للشيخ احمد بن حجر الهيثمي المتوفى سنة ٩٧٤ هـ (١٥٦٦ م) رتبهُ على سبعة مقاصد وخاتمة ووضعهُ سنة ٩٥٧ هـ (١٥٥٠ م) وهو من مخطوطات المكتبة السلطانية في القاهرة واغفلهُ الحاج خليفة في (كشف الظنون)

٢١ (الدرّ النضيد في آداب المفيد والمستفيد) — للشيخ ابي البركات بدر الدين محمد بن رضيّ الدين الغزي العامري القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٩٨٤ هـ (١٥٧٦ م) ألفهُ في فضل الشغل وآدابهِ واقسام العلم وآداب العالم والمتعلم مرتباً اياهُ على مقدمة وستة ابواب وخاتمة. وهو من ادق الكتب المتأخرة في هذا الفن استوعب فيهِ جميع ما قررهُ غيرهُ ممن تقدّمهُ وزاد عليهِ اختبارهُ وما تلقاهُ عن شيوخهِ كما ذكر في مقدمتهِ. وزاد ممن تقدمهُ انهُ ضمنهُ شروط المناظرة وآدابها وآفاتها. والادب مع الكتب وما يتعلق بها تصحيحاً وضبطاً ووضعاً وحملاً وشراء واستعارة ونسخاً. ولا عجب في كل ما اوردهُ فيهِ من الاختبارات والفوائد فانهُ درّس في السابعة عشرة من عمرهِ فصاعداً في اشهر مدارس دمشق لعهدهِ وفرغ من تأليفهِ سنة ٩٣٢ هـ (١٥٢٥ م) وهو في سنّ الثامنة والعشرين من عمرهِ. وفي مكتبتي نسخة متقنة منهُ في مجموعة ادبية

٢٢ (قانون على احكام العلم واحكام العالم واحكام المتعلمين) — للحسن بن مسعود اليوسي المراكشي البربريّ من قبيلة بني يوس المدرس في فاس (المغرب) والمتوفى سنة ١١١١ هـ (١٦٩٩ م) وهو من مخطوطات التيمورية طبع بفاس سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م)

ذلك فضلاً عن كتب كثيرة اخرى لم نتوفق الى الاطلاع عليها او وصف مواضيعها مثل (منهاج المتعلم في فضل العلم والمعلم والمتعلم) رتب على ثلاثة ابواب في المكتبة السلطانية ذكرهُ الكشف واغفل اسم مؤلفهِ. و (قرّ النمام في شرح آداب الفهم والافهام) من مخطوطات المكتبة التيمورية في مصر. و (آداب المتعلمين) لبعض المتقدمين ذكرهُ الكشف غفلاً عن اسم المؤلف. و (الجامع

لآداب الراوي والسامع) للشيخ الخطيب. و (التعليم) لمسعود بن شيبة و(زينة المتعلمين) لابي نعيم . و (التفصلة في تأديب المتعلمين) لابي الحسن علي بن محمد الغالي . و (رسالة في بيان التعليم لمن يريد التعلم) للشيخ احمد الحنفي الملخص للحصوني في مكتبة عارف افندي شيخ الاسلام في المدينة المنورة . و (تعليم المتعلم) للامام الاعظم ايضاً . و (شرح تعليم المتعلم) للشيخ نوشي الواعظ . وكلها في باب المجاميع من مكتبة شيخ الاسلام في المدينة ايضاً

ومن اغرب هذه الكتب ان علي بن رضوان الف كتاباً يتضمن (ان تحصيل الصناعة من الكتب اوفق من المعلمين) وردّ عليهِ ابن بطلان

هذه اشهر الكتب التي خصصت ابحاثها بفن التدريس وآدابهِ . واما ما جاء في تضاعيف الكتب من المباحث المشتتة فكثير مثل مقدمة ابن خلدون وادب الدنيا والدين للماوردي وارشاد القاصد لابن مساعد الانصاري السخاوي وشرعة الاسلام وقانون ابن سيناء واشباهها

اما كتب التربية والاخلاق والنفس فتعد بالمئات ومن اهمها (ايها الولد) للامام الغزالي الآنف ذكرهُ جمع فيهِ نصائح وحكماً ادبية لتهذيب الاحداث طبع سنة ١٨٣٥ م في المانيا . ولهذا الكتاب شرح بعنوان (ايها الاخ) في المكتبة السلطانية بالقاهرة . ومن ذلك (لقتة الكبد في نصيحة الولد) لعبد الرحمن ابن ابي الحسن الجوزي القرشي البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠٠ م) من مخطوطات مكتبة الاب انستاس الكرملي في بغداد نشرهُ في مجلة (كوكب البرية ٣ : ٤٨٦) . ومن ذلك (تهذيب الاخلاق لابن مسكويه) . ومئات من امثال ذلك لا حاجة الى تفصيلها واكثرها مطبوع متداول ومنها كتب كثيرة باسم (الاخلاق) . مثل (الاخلاق) و (الصديق والصداقة) للحسن بن سوار بن بابا بن بهرام ابي الخير المعروف بابن الخمار البغدادي من اهل القرن الرابع للهجرة و (تهذيب الاخلاق) لابن عدي . و (مداواة النفوس وتهذيب الاخلاق) لابن حزم الاندلسي . و (الاخلاق) لمحيي الدين بن العربي وغيرها

متأثي البقية زحلة عيسى اسكندر المعلوف